

اغتيال ستالين ونصفيّة البلشفية

في الذكرى المأساوية لمرور 59 سنة على اغتيال القائد البلشفي العظيم الرفيق ستالين: زعيم الطبقة العاملة العالمية لثلاثين سنة

5 مارس 2012

ولتحقيق ذلك كان من الضروري بالنسبة للشيوعيين في جميع البلدان أن يتحالفوا مع الاشتراكية الديمقراطية وأن يعقدوا اتفاقات حتى مع ديمقراطيين برجوازيين (أو وطنيين إصلاحيين في المستعمرات وأشباه المستعمرات) معادين فعلا للفاشية.

هذا الاحتكاك والتحالف بين الطبقة العاملة في جميع البلدان والقوى البرجوازية الديمقراطية والبرجوازية الصغيرة رغم ضرورته وصحته لتحقيق التصر على الفاشية بقيادة الاتحاد السوفييتي وفي نجاح الثورة في عديد البلدان في أوروبا الشرقية وآسيا، كان له جانبه السلمي والمتمثل في تسرّب التأثير البرجوازي والبرجوازي الصغير في صلب الطبقة العاملة والذي انعكس داخل الأحزاب الشيوعية في تفشي الانحرافات اليمينية والتصفوية المباشرة بالتعاون الطبقي والبرلمانية البرجوازية والداعية إلى التخلي عن التضال الثوري ضدّ الرأسمالية الإمبريالية. هذه «التحريفية المعاصرة» انتشرت في الأحزاب الشيوعية على المستوى العالمي وفي الحزب الشيوعي البلشفي نفسه.

مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية وبالتوازي مع العمل الجبار لإعادة بناء وطن الاشتراكية، شرع البلاشفة بقيادة ستالين في خوض نضال عالمي نظري وسياسي ضدّ التحريفية المعاصرة من أجل تطهير الحزب البلشفي والحركة الشيوعية العالمية من تلك العناصر المتفسخة.

ككل التحريفيين، اتخذ التحريفيون المعاصرون من «الخصوصية القومية» و«نبد الدغائية» أساسا لتطوير تحريفهم وإنكارهم للمبادئ العامة للماركسية اللينينية وقيادة البروليتاريا العالمية. تصدى البلاشفة بقوة لهذا الانحراف، قرأ في الصحيفّة النظرية للحزب البلشفي ما يلي: «إن الادعاء القائل بأن كلّ بلد يسير نحو الاشتراكية حسب طريق أصيلة كليا وبأن هناك عددا من الطرق يمثل عدد البلدان غير صحيح. إن قول ذلك يعني إنكار المغزى العالمي لتجربة البلشفية. إن القوانين العامة للانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية التي اكتشفها ماركس وأنجلس وامت تجربتها من طرف ماركس وأنجلس والتي جرّبها وطبقها وطوّرها

1. التضال الثوري للبلاشفة بقيادة ستالين ضدّ

التحريفية المعاصرة

بعد وفاة لينين وخلال فترة العشرينات من القرن الماضي وحتى منتصف الثلاثينات خاض البلاشفة بقيادة ستالين نضالا شاملا إيديولوجيا وسياسيا ضدّ شتى الانحرافات اليمينية و«اليسارية» للأمية الثانية و«الثانية ونصف» والتروتسكية والبوخارينية وغيرها. كان ذلك التضال عالميا في الاتحاد السوفييتي وفي جميع الأحزاب الشيوعية وقد أفضى ذلك التضال إلى انتصار ساحق للبلشفية وتعزيز الوحدة الإيديولوجية والسياسية والتنظيمية للطبقة العاملة السوفييتية والعالمية ورفع درجة النضج النظري والسياسي للأحزاب الشيوعية. كان ذلك تخضيرا ضروريا للطبقة العاملة وسائر الكادحين لخوض المعارك الكبرى التي تنتظرها سواء من أجل سحق البرجوازية وبناء الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي أو من أجل القيام بالثورة ضدّ الإمبريالية وسحق الفاشية.

كانت النجاحات الباهرة في بناء الاشتراكية والانتصار على النازيين بقيادة الاتحاد السوفييتي وانتصار الثورة ضدّ الرأسمالية الإمبريالية في عدد كبير من البلدان وتشكل معسكر اشتراكي قوي في مواجهة المعسكر الإمبريالي تجسما قويا لصحة الخط النظري والسياسي للحركة الشيوعية العالمية بقيادة ستالين والبلاشفة.

خلال فترة المعارك والانتصارات العظمى تلك والممتدة من أواسط الثلاثينات حتى حوالي 1947 بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، لم يكن الصراع الإيديولوجي والسياسي ضدّ الانتهازية بتلويباتها على جدول الأعمال. كانت المعركة الرئيسية لجميع الشيوعيين الأميين تتمثل في هزيمة الفاشية الهتلرية تحت قيادة الاتحاد السوفييتي. كان على الشيوعيين في جميع البلدان بناء وقيادة جهات وطنية واسعة ضدّ الفاشية تكون حلقات في سلسلة الجبهة العالمية ضدّ الفاشية بقيادة الاتحاد السوفييتي.

الكولونيالية وتحرير الشعوب المضطهدة من العبودية، أمر مستحيل بدون الثورة البرولتارية والإطاحة بالإمبريالية. خلال السنوات الأخيرة ومنذ الحرب العالمية الثانية انتشرت فكرة تقول بإمكانية نحو النظام الاستعماري دون تحطيم نمط الإنتاج الرأسمالي خاصة في أوساط المتقنين البرجوازيين في البلدان المستعمرة، أن البرجوازية الوطنية تتمنى لو تحصل على الاستقلال. كما تأمل الحصول على فرصة حكم بلدها بصورة مستقلة مع الاحتفاظ بنمط الإنتاج الرأسمالي ومع تجنب كل الإصلاحات الجذرية الديمقراطية. إن الأساس النظري لوجهة النظر هذه هو التصور الكاوتسكي للإمبريالية^٥. ويضيف المقال: «إن البرجوازية تساند الحركة الثورية للشعب بهدف استخلاص الفائدة لوحدها من ثمار الثورة وافتكك السلطة السياسية قصد اضطهاد الشعب في بلدها الخاص. إن هذه المرحلة من الجبهة الوطنية الواسعة ليست ممكنة إلا حينما تكون البرولتاريا غير فاعلة كقوة مستقلة ومحددة وكقطب مضاد للبرجوازية الوطنية وحيث لا تزال البرولتاريا غير قادرة على توجيه نضال الجماهير الشعبية غير البرولتارية^٦.

وفعلا كانت الكاوتسكية ركيزة لنظريات مثل «الديمقراطية الوطنية» الخروتشوفية ومن قبلها «الديمقراطية الجديدة الماوية» وتطبيقاتها «العالمية» الرجعية اللاحقة فيما سمي بنظرية العوالم الثلاث. القاسم المشترك بين كل هذه النظريات هو القول بإمكانية حل المسألة الوطنية أو الكولونيالية في ظل الرأسمالية ومعزل عن الثورة البرولتارية. لقد شكل ذلك عودة قوية للنظريات الكاوتسكية عن الإمبريالية والى وجهات نظر الأيمية الثانية.

لقد كان نضال البلاشفة عالميا بالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها والتي ساعدت على تفشي التحريفية على نطاق عالمي، فقد كان لكتابات ماو التحريفية بعض التأثير في أوروبا الشرقية وقد تطور هذا التضال ضد الانحراف اليميني في مسألة الدولة ليصبح سافرا ويؤدي في إحدى حلقاته الأولى إلى طرد التيتويين المكشوفين في صلب الحركة الشيوعية العالمية لا فقط في يوغسلافيا بل في عديد البلدان. لقد كان ماو على حق عندما صرح بأن ستالين يعتبره «من طراز تيتو». ولا شك أن محاولات ماو للتحفي سنوات 1951 و1952 و1953 قد فشلت وأن ستالين كان يستعد لمواجهة بوصفه من طراز تيتو. لهذا السبب رحب ماو والحزب الشيوعي الصيني بهجمات خروتشوف ضد ستالين في المؤتمر العشرين.

تقول اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي للاتحاد السوفيتي في هجومها على التحريفيين اليوغسلاف: «إن روح سياسة الصراع الطبقي لا

لينين وستالين على قاعدة تجربة الحزب البلشفي والدولة السوفيتية، هي ملزمة لكل البلدان. إن التجربة العظيمة للحزب البلشفي هي مرشد عمل بالنسبة للشيوعيين والشغاليين في جميع البلدان»^٧

اتخذ ماو والحزب الشيوعي الصيني موقفا مغايرا تماما حيث يعتبران أن كل تطور الثورة الصينية كان مناقضا لخط ستالين والكومنترن. يقول الحزب الشيوعي الصيني بعد فترة طويلة من وفاة ستالين: «منذ فترة بعيدة، قد مرّ الشيوعيون الصينيون في تجربتهم الشخصية الخاصة ببعض أخطاء ستالين. أُنْتُكبت أخطاء خطوط داخل الحزب الشيوعي الصيني. فقد كانت إما انتهازية «يسارية» أو يمينية. في ما يتعلق بأسبابها العالمية، أُنْتُكبت البعض منها تحت تأثير بعض أخطاء ستالين. منذ نهاية العشرينات، ثم خلال الثلاثينات، وأخيرا في بداية وأواسط الأربعينات، عمل الماركسيون اللينينيون، والرفاق ماو تسي تونغ وليو شاوشي كمثيلهم، على محاصرة تأثير بعض أخطاء ستالين، ثم، بعد القضاء بالتدريج على الخطوط الخاطئة لكل من الانتهازية «اليسارية» واليمينية، قادوا في النهاية الثورة الصينية إلى النصر»^٨.

وكان الحزب الشيوعي البلشفي السوفيتي يحارب أيضا «التطوير» الذي جلبه ماو للنظرية اللينينية عن الدولة من أجل تحويل الصين إلى دكتاتورية البرولتاريا والفلاحين في مواجهة «الديمقراطية الجديدة» لماو. ففي ندوة علمية أقامها معهد الدراسات الشرقية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية، قدم بي زوكوف المحاضر الأساسي تقريرا جاء فيه «من الخطر أن نرى في الثورة الصينية نموذجا للثورات الديمقراطية الشعبية في بلدان آسيوية أخرى». شدد أيضا بي زوكوف في تقريره على أن «الديمقراطيات الشعبية هي شكل خصوصي للدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبرولتاريا والفلاحين»^٩. وفي نفس الإطار كتب أيضا أ. سوبوليف «في سياق الثورة تبرز الديمقراطية الشعبية كجهاز للسلطة الثورية التي هي من حيث محتواها نوع من دكتاتورية الطبقة العاملة والفلاحين»^{١٠}.

وفي مقال نشر في الذكرى السبعين لميلاد ستالين يحمل عنوان «النظرية الستالينية في الثورة الكولونيالية والحركة التحررية الوطنية في إفريقيا الجنوبية والاستوائية» شنّ البلاشفة هجوما مباشرا على التحريفية المعاصرة في مسائل الثورة في المستعمرات وأشباه المستعمرات: «تؤكد النظرية الستالينية في الثورة داخل المستعمرات على أن حلّ المسألة

^٧ صحيفة البلشفي، 15 سبتمبر 1948

^٨ حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستيفارت شرام

^٩ بي زوكوف: طابع وخصوصيات الديمقراطية الشعبية في بلدان الشرق، 1952

^{١٠} أ. سوبوليف: البلشفي، عدد 19، أكتوبر 1951

^٥ «النظرية الستالينية في الثورة الكولونيالية والحركة التحررية الوطنية في إفريقيا الجنوبية والاستوائية»، سوفشكايا اتنوغرافيا، عدد 1، 1950

^٦ نفس المصدر السابق

الذي انعقد في عام 1945، قضى حزبا قضاء تاما على نهج الجمود العقائدي هذا الذي سبب ضررا كبيرا»⁷.

ويقول ماو مؤكدا ضمينا عدم اعتراف الكومنترن بانقلابه والتزامها الصمت في تلك الفترة: «ومنذ المؤتمر العالمي السابع في عام 1935 ما عادت الأمانة الشيوعية تتدخل في المشكلات الداخلية للحزب الشيوعي الصيني»⁸.

إن قراءة ماو لمسألة «صراع الخطوط» داخل الحزب الشيوعي الصيني المضمنة في وثيقة «قرار حول بعض المسائل المتعلقة بتاريخ الحزب» المصادق عليها في 20 أبريل 1945 من طرف اللجنة المركزية الموسعة قبيل المؤتمر السابع للحزب، لم تنشر أبدا قبل فيفري 1953 أي شهرا قبل اغتيال ستالين، في المجلد الثالث الذي تضمن لأول مرة أيضا تقرير ماو للمؤتمر السابع تحت عنوان «حول الحكومة الائتلافية» والكتابات التي جسدت الحملة التي قادها ماو لتصفية البلاشفة الصينيين تحت شعار «ضد الدغائية» و«فلنصلح دراستنا» وهي بالضبط الشعارات التي رفعتها العصاة الخروتشوفية لسحق البلاشفة في الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي.

تركزت سيطرة ماوتسي تونغ على الحزب الشيوعي الصيني بصورة كبيرة في المؤتمر السابع حيث طرح لأول مرة مفهوم «فكر ماوتسي تونغ». لم يعترف الاتحاد السوفييتي بذلك أبدا قبل وفاة ستالين والصحافة السوفييتية لم تعلق أدنى تعليق حول انعقاد هذا المؤتمر.

لم يدعم ستالين المؤتمر السابع لأنه يشكل انتصارا تحريفيا داخل الحزب الشيوعي الصيني لا يختلف في جوهره عن التنبوية وغيرها من أشكال التحريفية المعاصرة التي تفتت بعد الحرب العالمية الثانية. ويعترف ماو بذلك حيث يصرح في 1956 «لقد ارتكب ستالين عددا معينا من الأخطاء بحق الصين، فغامرة وانغ مينغ «اليسارية» في أواخر مرحلة الحرب الأهلية الثورية الثانية وانهازية وانغ مينغ اليمينية في أوائل حرب المقاومة ضد اليابان كلتاها ترجعان إلى ستالين. خلال مرحلة حرب التحرير، لم يسمح لنا في البداية بالثورة معتقدا بأن الأمة الصينية ستعترض لخطر التمار إن قامت حرب أهلية. ولما قامت الحرب كان ينظر لنا بعين الشك. وعندما انتصرنا في الحرب كان يرتاب في أن انتصارنا انتصار من الطراز التبتوي وكانت ضغوطه علينا شديدة في عامي 1949 و1950.»⁹

يمكن ملاحظتها بعد في الحزب الشيوعي اليوغسلافي. تتطور العناصر الرأسمالية في المدن والأرياف ولا يتخذ قادة الحزب أية إجراءات لمراقبة العناصر الرأسمالية... إن إنكار تنامي قوة العناصر الرأسمالية من طرف هؤلاء الزفاق وتبعاً لذلك، احتداد صراع الطبقات في الأرياف في ظل الظروف الحالية ليوغسلافيا، ناتج عن إدعاء انتهازي يقول بأنه خلال المرحلة الانتقالية بين الرأسمالية والاشتراكية، لا تحتد التناقضات الطبقيّة كما تعلمنا الماركسيّة اللينينية، وإنما تخفت كما يدعي الانتهازيون من طراز بوخارين الذي كان يراهن على نظرية رجعية حول العناصر السلمية في نظام اشتراكي»⁷.

لقد استغل ماوتسي تونغ مجازر الكيومينتانغ وتشان كاي تشيك ضد الحزب الشيوعي الصيني خاصة في المدن وإضعاف قواعده العالية وكذلك انشغال ستالين والكومنترن بتحضير التصدي العالمي للفاشية والنازية وقام وجاعته باغتصاب السلطة في الحزب بطريقة غير شرعية وبالاتحاد على الجيش في جانفي 1935 في كونفرنس تسون-بي. أطاح ماو بالقيادة البلشفية للحزب التي ركزها الكومنترن والشيوعيون الصينيون ضد الانحرافات الانتهازية اليمينية وشبه التروتسكية في 1931. إن السيطرة غير الشرعية والمسألحة على السلطة في الحزب من طرف ماو لم يعترف بها الكومنترن أبدا، كما لم يؤيد الكومنترن ولم تعلق الصحافة السوفييتية أبدا حتى وفاة ستالين على أي من انتقادات ماو لما يسميه «28 بلشفي».

يقول ماو بهذا الخصوص: «لقد دام خط وانغ مينغ أطول فترة. لقد شكل كنة في موسكو ونظم 28 بلشفيًا. وبالاعتقاد على قوة الأمانة الثالثة سيطروا على السلطة في الحزب واحتفظوا بها طيلة أربع سنوات كاملة»⁸.

ويعترف ماو بتصفيته للخط البلشفي داخل الحزب الشيوعي الصيني عبارات في غاية الوضوح: «وفي تاريخ الحزب الشيوعي الصيني، من عام 1931 إلى عام 1934، كان أصحاب نزعة الجمود العقائدي ينكرون خصائص الصين، وينسخون تجربة ما عن الثورة الروسية: مما أدى إلى حلول هزيمة خطيرة بالقوى الثورية في البلاد. وقد كانت هذه الهزيمة كبيرة لحزبنا. وفي المرحلة الواقعة بين الجلسة الموسعة التي عقدها المكتب السياسي للجنة المركزية في تسوني عام 1935 وبين المؤتمر الوطني السابع

⁷ من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصينية جين مين مجهاو، 29 ديسمبر 1956

⁸ خطاب ماو تسي تونغ في 26 أيار 1943، أمام ملاكات الحزب الشيوعي الصيني لتفسير قرار حل الأمانة الشيوعية

⁹ «حول العلاقات العشر الكبرى»، خطاب ماو في الاجتماع الموسع للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، 25 نيسان 1956

⁷ رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اليوغسلافي، 4 ماي 1948، ترجمتنا

⁸ حول مسألة ستالين، 10 مارس 1958، في كتاب خطابات الرئيس ماو، ص 101، طبعة ستوارت شرام

عن الجماهير والجماعة إلى حد ما ويقدر ما، وكان قد انتهك مبادئ المركزية الديمقراطية في الحزب والدولة»^{٢٣}.

انتشرت التحريفية المعاصرة بعد الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفييتي أيضا وداخل الحزب البلشفي. كان ستالين يعي تماما أن الانشغال بالحرب الوطنية الكبرى ضد النازية والحسائر الكبرى في كواد الحزب البلشفي ثم المجهودات الجبارة التي بذلت لإعادة البناء في زمن قياسي ونشوة الانتصارات المتلاحقة والنشاطات والمناورات الدبلوماسية مع الدول الإمبريالية وتطور العلاقات معها، كلها عوامل أضعفت جاهزية الحزب الإيديولوجية والسياسية للتصدي للانحرافات اليمينية وخلقت مناخا عاما من التراخي وضعف اليقظة إزاء أعمال التخريب والمؤامرات الإمبريالية.

نشر الرفيق ستالين «القضايا الاقتصادية للاشتراكية» في أكتوبر 1952 قبيل المؤتمر التاسع عشر للحزب البلشفي وكان الأساس لبدء حملة واسعة من طرف ستالين والبالاشفة ضد التحريفية المعاصرة التي برزت على نطاق واسع في الحزب وفي الحركة الشيوعية العالمية. فقد كان ماو وتيتو وغيرهم في المعسكر الاشتراكي يريدون نفي القوانين الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية وكانت لهم وجهة نظر مناقضة تماما لوجهة نظر البلاشفة، وجهة نظر قومية «للاشتراكية» تجعل من قانون القيمة قانونا مطلقا في «اشتراكيهم».

في هذا المؤلف تصدى ستالين أيضا، قبل أشهر من وفاته، بوضوح لتفتي الأوهام التحريفية حول التعايش السلمي مع الإمبريالية وإمكانية انتهاء الحروب في عصر الإمبريالية. يقول: «للقضاء على الطابع الحتمي للحروب يجب تحطيم الإمبريالية». وبين ستالين كيف أن «النتيجة الاقتصادية الأكثر أهمية بعد الحرب العالمية الثانية وتبعاتها على الاقتصاد كانت تفكك السوق العالمية الموحد والشاملة. هذا تسبب لاحقا في تعمق الأزمة العامة للنظام الرأسمالي». هذا التفكك يزيد من المنافسة بين الإمبرياليين بفعل تقلص السوق الرأسمالية العالمية مما يجعل الحروب فيما بينهم حتمية. هذا التفكك يزيد أيضا من عدوانيتهم تجاه بلدان المعسكر الاشتراكي ويضعف بشكل كبير من محاولاتهم لإعادة الرأسمالية. كان ستالين يستشهد دوما بهذا المقطع للينين «لا يمكن تصور أن الجمهورية السوفييتية بإمكانها مواصلة التعايش لمدة طويلة جنبا إلى جنب مع الدول الإمبريالية. إما هذا أو ذاك سينتصر في النهاية. وإلى ذلك الحين من الحتمي أن نشهد صدامات رهيبية بين الجمهورية السوفييتية والدول البرجوازية»^{٢٤}

هذه «الضغوط الشديدة» من ستالين والتي تعرضنا إلى بعضها أعلاه، أجبرت ماو على التخفي واستباق إمكانية فضحه وطرده من الحركة الشيوعية العالمية مثلما وقع الأمر مع تيتو والحزب الشيوعي اليوغسلافي، فقام بإدخال تعديلات جوهرية على كتاباته بمناسبة إصدار المؤلفات المختارة سنة 1951 بحيث أضيفت إليها بصورة ممنهجة عبارات «بقيادة البروليتاريا» و«بقيادة الحزب الشيوعي» وأزيلت منها مقاطع بأكملها وعديد الجمل المتعلقة بالبور القيايدي للفلاحين في الثورة وتمجيد البرجوازية الوطنية... الخ.^{٢٥}

يقول ستوارت شرام وهو أحد الأكاديميين البرجوازيين المختصين في ترجمة ونشر كتابات ماو «لقد خضعت النصوص المضمنة في الأعمال المختارة إلى تغييرات كثيرة وعميقة من طرف الكاتب بحيث لا يمكننا أن نؤكد، ولو بالنسبة لجملة بسيطة، مطابقتها لما كان ماو قد كتبه فعلا دون التثبت بالرجوع إلى النسخة الأصلية».

ومن الصعب علينا نحن طبعاً أن نفهم كيف انتقل ماو من تكتيك التخفي وتفتيح كتاباته لـ«تفادي» «الضغوط الشديدة» التي مارسها عليه ستالين إلى الهجوم المكشوف على ستالين والأمة الثالثة في فيفري 1953 لو لم يكن يعلم مسبقاً أن ستالين سيكون بعد شهر في وضع لا يستطيع فيه محاربته بوصفه تيتوي. خاصة وأن ذلك الهجوم المباشر على ستالين والكومنترن حصل في توقيت مرتبط بتواجد بولغانين على رأس وفد سوفييتي في سفارة الصين في فيفري 1953. وهذا الرجل نفسه، بولغانين، سنجده ضمن وفد سيذهب إلى الصين يضم أيضا خروتشوف ومكويان في 1954. وقد أسست هذه الزيارة للتحالف الأولي بين ماو والتحريفيين السوفييتيين. هذا التحالف الذي كسب منه خروتشوف دعم ماو في الهجوم على ستالين وتصفية القيادة البلشفية في الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي مقابل الدعم المادي والعلمي للصين وبالخصوص الوعد بتقديم المساعدة التتوية. كل ذلك يدفعنا إلى التساؤل حول مدى انضمام ماو تسي تونغ بصفة نشيطة إلى مؤامرة اغتيال ستالين وتصفية القيادة البلشفية في الاتحاد السوفييتي؟

مهما يكن من أمر، فالأكد أنه قدّم التبرير السياسي لاغتيال ستالين. يقول الحزب الشيوعي الصيني: «إن بعض أخطاء ستالين قد تحولت في آخر مرحلة من حياته إلى أخطاء خطيرة طويلة الأمد وعلى صعيد الدولة، ولم يكن من الممكن إصلاحها في الوقت اللازم لأنه كان قد انقطع

^{٢٣} من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا، هيئة تحرير الجريدة الصينية «جين مين جهاو»

^{٢٤} ورد في: ستالين: «حول الانتصار النهائي للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي»،

^{٢٥} للاطلاع على تفاصيل هذا التزييف نجح القارئ إلى دراسة معمقة قامت بها منظمة الاتحاد البلشفي الكندية، ونشرت في العدد 15 من مجلتها «خطوط التأخير»

عمله. إن الرفيق مولوتوف باعتباره وزيرنا للشؤون الخارجية، واجدا نفسه في خضم استقبال ديبلوماسي «زلق»، قدم ضمنا إلى دبلوماسي بريطاني بأن الرأسماليين يمكنهم أن يبدووا نشر صحف برجوازية في بلادنا. لماذا؟ هل كان هذا هو المكان لإعطاء مثل هذا الضمان بدون علم اللجنة المركزية للحزب؟ أليس من الواضح الجلي أن البرجوازية هي عدونا الطبعي وأن ترويج الصحف البرجوازية بين أشخاص حزبنا إضافة إلى تسبب الأضرار لن يقدم لنا أية فوائد؟ لو سمح لهذا أن يحدث لكان بإمكاننا أن نتوقع ظروفًا حيث تبدأ الهجومات ضد الاشتراكية وضد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي، برقة في البداية ثم بشكل مفضوح. هذا هو الخطأ السياسي الأول للرفيق مولوتوف»⁷⁸.

وشملت الانحرافات التي فضحها ستالين في هذا الخطاب مسألة السياسة البلشفية تجاه القوميات في إطار اتحاد الجمهوريات السوفيتية. يقول ستالين منتقدا مولوتوف: «وماذا عن اقتراح مولوتوف الخاطئ بإعطاء القوم لليهود السوفيتيين؟ أته خطأ فاضح للرفيق مولوتوف. لماذا جاء مثل هذا الاقتراح أساسا؟ على أي أساس قدم الرفيق مولوتوف هذا الاقتراح؟ لدينا جمهورية يهودية ذات استقلال ذاتي. فأية حاجة أخرى نحتاج إليها؟ توجد أقليات قومية عديدة أخرى لها الآن مناطقها المستقلة ذاتيا وكذلك جمهوريات مستقلة ذاتيا. أليس هذا كافيا الآن؟ أو هل هذا يعني عدم الثقة بالدستور السوفيتي للاتحاد السوفيتي وسياسته حول القوميات؟»⁷⁹

كما تعرض ستالين في هذا الخطاب الهام إلى انحرافات ميكويان في مجال السياسة نحو الفلاحين وكيف «أنه قطعيا ضد أي ضريبة تفرض على الفلاحين ولذلك فهو يناضل ضدها» ويعتبره «تائها» يحاول جر اللجنة المركزية معه في ضياعه.⁸⁰

2. اغتيال ستالين

بعد فشل الإمبرياليين في تحطيم الاشتراكية عن طريق الحرب العالمية الثانية بل وخسارتهم جزء كبير من السوق العالمية الذي انضم إلى المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي، أصبحوا يحشون خوض حرب أخرى مع هذا الأخير لأنه كما قال ستالين في «القضايا الاقتصادية للاشتراكية»: «إن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي بلد الاشتراكية أكثر خطورة على الرأسمالية من الحرب فيما بين البلدان الرأسمالية لأنه إذا كانت الحرب بين البلدان الرأسمالية تطرح مسألة سيطرة بعض البلدان

وفي خطاب⁸¹ ألقاه في الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب البلشفي في 16 تشرين الأول سنة 1952 نشرته لأول مرة جريدة غلاسنوست الروسية بمناسبة الذكرى المائة والعشرين لميلاده، طرح ستالين مسائل جوهرية تهتم تطوير دور الحزب وكفاءة القادة في التضال ضد الانتهازية. كان ستالين في هذا الخطاب ذي الأهمية التاريخية مدركا تماما للمخاطر التي تتهدد الحزب البلشفي والدولة السوفيتية وقد عبّر صراحة عن تفشي الانتهازية وغياب الوحدة داخل الحزب. يقول ستالين في هذا الخطاب بمرارة واضحة: «لقد عقدنا مؤتمر حزبا. ومز ذلك بصورة جيدة جدا، وقد يعتقد الكثير منكم أن الانسجام التام والوحدة تسود بيننا. ولكننا لا نمتلك هذا الانسجام وهذه الوحدة في الفكر. فبعضكم حتى يعارض ولا يجب قراراتنا»⁸².

واضعا بكل وضوح الهدف الأسمى المتمثل في بناء الشيوعية، طرح ستالين في هذا الخطاب مسألة تشييب قيادة الحزب وضرورة تربية كوادر أكثر كفاءة «يستطيعون تمييز كافة أنواع الميول الانتهازية والتضال ضدها». يقول الرفيق ستالين: «يجب أن نفكر في أيدي من سنسلم مشعل مشروعنا العظيم، من سيحمله إلى الأمام ليبلغ هدف الشيوعية؟ نحتاج لهذا إلى شخصيات شابة تتحلّى بالمزيد من الطاقة، إلى رفاق وقادة سياسيين يكرسون أنفسهم لذلك. وما معنى أن نربي قائدا مكرسا حياته ومخلصا للدولة؟ نحتاج إلى عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما لكي نتمكن من إنشاء قائد للدولة قادر على حمل هذا المشعل.

ولكن مجرد الرغبة في حدوث ذلك لا يكفي. لكي نربي كوادر جديدة كهذه نحتاج إلى الوقت وإلى مساهمتهم في عملية الحكم اليومية للدولة، أن يتعلموا في الأمور التطبيقية التي تشمل كامل سلسلة جهاز وخطط الدولة وحمازها الفكري لكي يواصلوا رفع بناء المجتمع الاشتراكي إلى مستويات أعلى وأن على الرفاق أن يستطيعوا تمييز كافة أنواع الميول الانتهازية والتضال ضدها. على الرفيق أن يكون عاملا لينينا، يعلمه حزبا تاريخه وتكتيكة وخططه ومستقبل الاتحاد السوفيتي كما تصوّرها لينين»⁸³.

ويهاجم ستالين بعض الانحرافات الخطيرة التي تمس نظام دكتاتورية البروليتاريا وتدفع نحو تفنسه إلى نظام الديمقراطية البرجوازية، هذه الانحرافات طالت حتى قادة كبارا مثل مولوتوف. يقول ستالين: «الرفيق مولوتوف هو أكثر الرفاق تكريسا لقضيتنا. أنه مستعد أن يقدم حياته لقضية الحزب. ولكننا لا يمكن أن نتغاضى عن ضعفه في بعض جوانب

⁷⁸ ترجمه إلى العربية حسقييل قوجان عن مجلة Northstar Compass عدد

نيسان 2000

⁷⁹ جريدة «غلاسنوست»، 16 تشرين الأول 1952

⁸⁰ المرجع السابق

⁸¹ المرجع السابق

⁸² المرجع السابق

⁸³ المرجع السابق

الطريقة. إنهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركوا أن نجاحاتنا تؤدي لا إلى تخفيف حدة الصراع بل إلى احتداده وأن بقدر ما يكون تقدمنا مظفراً بقدر ما ستكون مقاومة أعداء الشعب اليايسين المفلسين أكثر حدة. هذا ما علمنا إياه الخالد لينين، هذا ما علمنا إياه الرفيق ستالين».

خلال تلك الفترة بعد كشف مؤامرة الأطباء وحتى وفاة ستالين، وقع شن حملة متصاعدة ضدّ «الانتهازيين اليمينيين» الذين يعملون على إضعاف يقظة الشعب السوفييتي والانتقاص من خطورة أعمال الجوسسة والتخريب التي تنظمها الدوائر الإمبريالية. ومما لا شك فيه أن تلك الحملة كانت ستنتج بحملة تطهير كبرى ضدّ التحريفيين داخل الحزب البلشفي (كانت عبارات البرافدا المشار إليها واضحة جداً) ولكن كل ذلك توقف بـ«موت» ستالين.

مباشرة بعد وفاة ستالين في 28 مارس 1953 يصرح مجلس رئاسة السوفييت الأعلى بأن «احترام القانون والتظام الاشتراكي قد تعاضم وبأن عدد الجرائم قد نقص في بلادنا». وعلى أساس ذلك وقع إطلاق سراح جميع المخربين والجواسيس والعناصر المتفسخة والتحريفيين الذين كشفهم دكتاتورية البروليتاريا وشلّت حركتهم.

وفي 3 أبريل 1953 أعلن التحريفيون أن القضية ضدّ الأطباء القتلة كانت مفبركة ووقعت بالتالي إعادة الاعتبار لهم. ويضيف التحريفيون أن «الأشخاص المتهمين بإدارة التحقيق بطريقة غير صحيحة وقع إلقاء القبض عليهم ووجهت لهم المسؤولية الجنائية».²⁷

ولتبرير إنكارهم لمؤامرة الأطباء يقول التحريفيون: «لقد وقعت تصفية الطبقات المستغلة في الاتحاد السوفييتي وبالتالي لا يمكن للقوى الرجعية الخارجية أن يكون لها سندا اجتماعيا هاما داخل الاتحاد السوفييتي للقيام بمحاولاتهم التخريبية ضدّ الدولة السوفييتية».²⁸ ومن الواضح أن ذلك يشكل خيانة كاملة للتضال من أجل الدفاع عن الاشتراكية واستسلاما للإمبريالية. كما أن ذلك لا يعتبر تصفية للستالينية فحسب بل تصفية لشخص ستالين نفسه، فقد سبق أن وقع الإعلان، في حياة ستالين، أن هذا الأخير هو الذي أطلق التحقيق في مؤامرة الأطباء القتلة على إثر تلقيه رسالة من طبيب كان على علم بها. لنستمع إلى هذا التصريح: «تحرص الحكومة السوفييتية على الدفاع عن حقوق مواطني بلدنا وتدافع بعناية عن تلك الحقوق وتعاقب دون رحمة ودون مراعاة للأشخاص أو المناصب أولئك الذين يسمحون بأعمال تعسفية... لا يسمح لأحد بخرق القانون السوفييتي».²⁹

الرأسمالية على البعض الآخر، فإن الحرب ضدّ الاتحاد السوفييتي يجب أن تطرح بالضرورة مسألة بقاء الرأسمالية نفسها». دفع ذلك الإمبرياليين وخاصة الإنجليز (وعلى رأسهم تشرشل الذي قاد حملة تحريض عالمية ضدّ الاتحاد السوفييتي حتى بعد تنحيته عن رئاسة الوزراء) والأمريكان (بقيادة ترومان الذي خلف روزفلت) إلى تنظيم وتمويل حملة واسعة للتخريب والتجسس للقضاء على الاشتراكية بالاعتماد على وكلاء داخليين من بعض العناصر المتفسخة والعناصر الواقعة تحت تأثير الدعاية البرجوازية.

في 13 جانفي 1953 أعلنت صحيفة البرافدا عن كشف «مجموعة إرهابية من الأطباء كانوا يهدفون إلى قتل شخصيات عامة نشيطة في الاتحاد السوفييتي عن طريق إفساد العلاج الطبي» وذكرت الصحيفة أنّ هؤلاء الأطباء القتلة قد اعترفوا بقتلهم جدانوف وشرباتوف وبأتهم «حاولوا جاهدين تخريب صحّة موظفي القيادة العسكرية السوفييتية وتصفيهم قصد إضعاف دفاعات البلد». وأعلن لاحقا أن هؤلاء القتلة وقع توظيفهم بالأجر من قبل المخابرات البريطانية ومنظمة صهيونية تشتغل كواجهة للمخابرات الأمريكية.

وتفضح البرافدا في افتتاحيتها في نفس العدد هذه المؤامرة بوصفها تدرج ضمن حملة إمبريالية عالمية تهدف إلى القضاء على الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي من الداخل. تقول البرافدا «في حى تحضيرهم لحرب عالمية جديدة يرسلون بصفة متزايدة الجواسيس إلى الاتحاد السوفييتي وإلى الديمقراطيات الشعبية محاولين خلق طابور خامس مخرب في الاتحاد السوفييتي. يكفي أن نتذكر تخصيص الحكومة الأمريكية بصورة علنية فاصحة لـ 100.000.000 دولار للإرهاب وأعمال التخريب والتدمير في بلدان المعسكر الاشتراكي هذا فضلا عن مئات الملايين من الدولارات التي تصرف سرا لنفس الهدف».³⁰

تذكر البرافدا بالموقف الستاليني قائلة «لقد حذرنا الرفيق ستالين مرارا من أن نجاحاتنا لها جانبها السلمي لأنها تؤدي لدى العديد من قاداتنا الرزيميين إلى حالة من التراخي والرضا عن النفس.... إن العلاقات الاشتراكية راسخة دون اقسام أو تذبذب والاتحاد السوفييتي حقق نصرا تاريخيا في الحرب الوطنية العظمى. النتائج المدمرة للحرب وقع تحويلها إلى قبضها في ظرف زمني قياسي ولنا انجازات في جميع قطاعات النشاط الاقتصادي والثقافي. بعض الأشخاص يستنتجون من هذه الوقائع أن خطر التخريب قد ولى وأنّ أسياذ العالم الرأسمالي يمكنهم العدول عن محاولاتهم توجيه نشاطهم التدميري ضدّ الاتحاد السوفييتي.

ولكن وحدهم الانتهازيون اليمينيون، أولئك الذين يتبنون موقفا معاديا للماركسية مفاده أن الحرب «ستتلاشى»، يمكنهم التفكير والتحليل بهذه

²⁷ البرافدا، 3 أبريل 1953

²⁸ المرجع السابق

²⁹ المرجع السابق

³⁰ البرافدا، 13 جانفي 1953

يعترف خروتشوف لاحقا في «خطابه السري» في المؤتمر العشرين بهذه الجريمة ويقر بأن تصفية ستالين كانت ضرورية من أجل إلغاء التحقيق حول مؤامرة الأطباء. يقول: «كان يعطي الأوامر بالقبض على مجموعة من خيرة المختصين الطبيين السوفييتيين. كان يعطي بنفسه التوجيهات حول إدارة التحقيق وطريقة التحقيق مع الأشخاص الموقوفين»²⁵

ويضيف أن «ستالين كان يوزع التعليمات ضد الأطباء في المكتب السياسي ويقول: أتم عميان مثل القلط الرضية، ماذا كان سيحدث بدوني؟ سيبلك البلد لأنكم عاجزون عن التعرف على الأعداء»²⁶. ويقول لنا خروتشوف بعد ذلك أنه «لما قمنا بفحص هذه القضية بعد موت ستالين اكتشفنا أنها مفبركة من البداية إلى النهاية. لقد وقعت حياكة «القصة» الحسيسة من طرف ستالين نفسه لكنه لم يتمكن من الوقت اللازم للوصول بها إلى خاتمتها»²⁷. طبعاً فقد وقع اغتياله من طرف خروتشوف وحثالة التحريفيين الذين معه قبل أن يكشف كافة خيوط المؤامرة ويظهر الحزب من الخونة والمرتدين.

ولم ينجل خروتشوف من التصريح أمام المؤتمر العشرين بأن «حياة ستالين أصبحت عقبة جدية في طريق التطور السوفييتي». ويقدم التبرير لعملية اغتيال ستالين: «في الاجتماع الموسع للجنة المركزية بعد المؤتمر التاسع عشر هاجم ستالين مولوتوف وميكويان... لو كان ستالين قد بقي أو ما زال يحكم لبضعة أشهر أخرى، لكان من المحتمل أن لا يلقيا خطابها في هذا المؤتمر. كان لستالين بدون شك خططا للقضاء على الأعضاء القدامى للمكتب السياسي»²⁸.

ونحن نريد الآن أن نقول بكل وضوح لأولئك الذين ساندوا المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي بأنهم ساندوا اغتيال ستالين وساندوا تصفية البلشفية والماركسية اللينينية.

3. بدء الهجوم على البلشفية مباشرة بعد

اغتيال ستالين

لقد بدأ الهجوم على البلشفية مباشرة بعد اغتيال ستالين. فبعد بضعة أيام من جنازة ستالين صدرت الموسوعة السوفييتية وقد حذفت بشكل لا يخفى على أحد كل إشارة إلى الستالينية. وفي جويلية 1953 أصدر

²⁵ التقرير السري لخروتشوف، ورد في: «الحملة المعادية لستالين والشيوعية العالمية»، صحافة جامعة كولومبيا، ص 2، 1956

²⁶ المصدر السابق

²⁷ المصدر السابق، ص 64-65

²⁸ المصدر السابق، ص 84

الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي بيان خيانة صريح نشر بصورة واسعة في الصحافة السوفييتية والبرجوازية لم تكن أبعاده لتخفى على الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني، وذلك بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب جاء فيه: «من الضروري القضاء على التركيز الخاطيء على دور الفرد المنافي للماركسية والذي برز في تفشي النظرية المثالية لعبادة الفرد التي هي غريبة عن الماركسية اللينينية. إن عبادة الفرد تناقض مبدأ القيادة الجماعية وتنقص من دور الحزب ومركزه القائد، تنقص من النشاط الخلاق لجمهير الحزب والشعب السوفييتي ولا علاقة لها بالفهم الماركسي اللينيني لأهمية النشاط القيادي للهياكل القيادية والشخصيات القيادية»²⁹.

وهاجم التحريفيون في هذا البيان الستالينية ملصقين بها نعت الدغائية: «إته من الضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى القضاء على الفهم التلمودي الدغائي للنظرية الماركسية اللينينية. اعتمادا على المقولة القائلة بأن النظرية الماركسية اللينينية ليست عقيدة بل مرشد للعمل، يطلب الحزب من جميع أعضائه فهم الطابع الخلاق للماركسية اللينينية...»³⁰

ولا يحتاج الأمر إلى عميق بحث للتعرف على النوايا الحقيقية للتحريفيين من وراء الهجوم على «عبادة الفرد» و«الفهم التلمودي» للماركسية اللينينية في هذا البيان. ولم تكن تلك النوايا لتخفى، بكل تأكيد، عن «زعيمين» مثل ماوتسي تونغ وأنور خوجة. يواصل البيان كاشفا تلك النوايا الخائنة: «في دائرة السياسة الخارجية، سيواصل الحزب في المستقبل أيضا وبصفة دائمة سياسة المحافظة على السلم وتدعيمه، وسياسة التعاون مع جميع البلدان وتطوير علاقات عمل معها على قاعدة مبادئ احترام المصالح المشتركة».

يشكل هذا التصريح تخليا سافرا على السياسات الستالينية التي صاغها ستالين في «القضايا الاقتصادية للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي» حيث يقول «للقضاء على الطابع الختم للحروب يجب القضاء على الإمبريالية»، وتعويضها بسياسة التعاون و«تطوير علاقات عمل» للمحافظة على السلم.

وفي نفس هذا البيان يصوغ التحريفيون نظريتهم المعادية للينينية حول التعايش السلمي: «في كل سياسته الخارجية، يسترشد حزبا بوحمة النظر اللينينية حول إمكانية تعايش طويل وتنافس سلمي بين النظامين». لنرى كيف يحزف هؤلاء الخونة اللينينية، لنتسمع إلى هذه الأقوال للينين التي كثيرا ما استشهد بها ستالين: «من غير المنطقي أن

²⁹ «الذكرى الخمسين لميلاد الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي (1903-1953)»،

هيئة الدفاع والتحريض للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ومعهد ماركس-أنجلس-لينين-ستالين، ترجمتنا

³⁰ المصدر السابق

إنه ماو نفسه الذي يعتبر أن كل تطور الثورة الصينية كان مناقضا لخط ستالين والكونمترن. يقول الحزب الشيوعي الصيني: «منذ فترة بعيدة، قد مرّ الشيوعيون الصينيون في تجربتهم الشخصية الخاصة من بعض أخطاء ستالين. أُنْتُكبت أخطاء خطوط داخل الحزب الشيوعي الصيني، فقد كانت إما انتهازية «يسارية» أو يمينية. في ما يتعلق بأسبابها العالمية، أُنْتُكبت البعض منها تحت تأثير بعض أخطاء ستالين. منذ نهاية العشرينات، ثم خلال الثلاثينات، وأخيرا في بداية وأواسط الأربعينات، عمل الماركسيون اللينينيون، والزفاق ماوتسي تونغ وليو شاوشي كمثيلهم، على محاصرة تأثير بعض أخطاء ستالين، ثم، بعد القضاء بالترجيح على الخطوط الخاطئة لكل من الانتهازية «اليسارية» واليمينية، قادوا في النهاية الثورة الصينية إلى التصر».³⁵

ولم تنشأ تحريفية ماو ومعاداته للخط الشيوعي البلشفي في أواخر حياته كما يروج لذلك البعض، ولم تنشأ أيضا بعد وفاة الرفيق ستالين. لقد ظهرت تحريفية ماو وتطورت منذ بداية نشاطه السياسي وكان هدفه الثابت يتمثل أولا في إزاحة وتصفية الخط اللينيني-الستاليني حول الثورة الصينية، ثم بعد ذلك في إزاحة وتصفية هذا الخط على المستوى العالمي وإحلال «فكر ماو تسي تونغ» محله.³⁶

إن المطروح اليوم على جميع العناصر الشيوعية الثورية القيام باختيار بين الماركسية اللينينية كما مارسها وطورها ستالين وطبقها الأمانة الثالثة وبين «فكر ماو تسي تونغ». من جهة، ماو قام بالاختيار عندما أعلن صراحة أن ستالين والكونمترن، وبالتالي ماركس وانجلز ولينين، كانوا مخطئين، وأن طريق الثورة العالمية يعتمد على تبني «فكر ماو تسي تونغ».

لقد وقع اعتبار وصول الحزب الشيوعي الصيني إلى السلطة في الصين كنتيجة حصرية لأعمال هذا الحزب تحت قيادة «فكر ماو تسي تونغ». مع تقديرنا العميق لدور ملايين العمال والفلاحين الصينيين الذين ضحوا بحياتهم من أجل انتصار الثورة على الإمبريالية، نؤكد أن وصول الحزب الشيوعي الصيني إلى السلطة كان، وإلى حد كبير، نتيجة انتصار الجبهة الثورية العالمية بقيادة الاتحاد السوفيتي ضد الفاشية، جبهة كان الحزب الشيوعي الصيني جزءا منها، جبهة انتصرت على الفاشية وهيأت الظروف للثورة الصينية. كان ذلك نتيجة تنامي قوة المعسكر الاشتراكي بقيادة ستالين وإضعاف المعسكر الإمبريالي بفعل الضربات القاتلة التي تلقتها الإمبريالية العالمية بالقضاء على رأس حريتها الفاشية واقتطاع جزء كبير من العالم الرأسمالي الإمبريالي والتحاقه بالمعسكر الاشتراكي والثورة العالمية.

تتمكن الجمهورية السوفيتية من مواصلة التعايش جنبا إلى جنب مع التول الإمبريالية. لا بد لأحدهما من الانتصار على الآخر. وإلى ذلك الحين، من الحتمي أن نشهد صدمات رهيبية بين الجمهورية السوفيتية والتول البرجوازية»³⁷

وفي ديسمبر 1953 وفي مقال يتعرض للمؤلفات المختارة لماو تسي تونغ يصرح التحريفيون السوفيتيين «مطورا للينينية بطريقة خلّاقة، بين ماو تسي تونغ في مؤلفاته «الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني» و«حول الديمقراطية الجديدة»، أن انتصار الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين تحت قيادة البروليتاريا يؤدي حتما إلى تركيز نظام ديمقراطي شعبي مع دكتاتورية «تحالف جميع القوى المعادية للإمبريالية والمعادية للإقطاعية بقيادة البروليتاريا».³⁸

وهكذا ومنذ 1953، مباشرة بعد اغتيال ستالين شرع التحريفيون في تصفية الخط التطري والسياسي البلشفي الستاليني وإعلان أطروحاتهم التحريفية حول «عبادة الشخصية» و«إمكانية تجنّب الحروب في ظل الإمبريالية» و«الانتقال السلمي» و«التعايش السلمي» و«التنافس السلمي» بين المعسكرين. لم ينتظروا حتى المؤتمر العشرين كما حاول «إبطال التضال ضد التحريفية المعاصرة» ماو وأنور خوجة إيهام الطبقة العاملة والشعوب بذلك.

4. حول التضال المزعوم لماو تسي تونغ والحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفية المعاصرة

عُرف ماو تسي تونغ على أنه مدافع عن ستالين ضد هجومات خروتشوف وعلى أنه متبني لسياسات ستالين ضد سياسات التحريفيين السوفيتيين الذين أعادوا الرأسمالية في الاتحاد السوفيتي. هذه الصورة وقع تشييدها وترويجه من طرف الحزب الشيوعي الصيني الذي أظهر ماو على أنه مواصل لعمل ماركس، أنجلس، لينين وستالين بل ومطورا أعمالهم «إلى مرحلة جديدة» في «حقبة جديدة» هي حقبة ما يسمى «فكر ماو تسي تونغ» وأن ستالين كان يدعم ماو تسي تونغ.

هذه الأسطورة يكذبها التاريخ الحقيقي للحزب الشيوعي الصيني والثورة الصينية. في الواقع لقد خاض ستالين نضالا عنيدا من أجل بلشفة الحزب الشيوعي الصيني ضد ماو وخطه السياسي، هذا التضال بدأ منذ المراحل الأولى للثورة الصينية ولم ينتهي إلا بعد وفاة ستالين (سنناول هذا الموضوع في دراسة خاصة سننشرها لاحقا)

³⁷ ورد في: ستالين: «حول التصر النهائي للاشتراكية في الاتحاد السوفيتي» فيفري 1938، الأعمال الكاملة، مجلد 14، ص 420، ترجمتنا

³⁸ (أ. مارتينوف، كرازنايا زفسدا، ديسمبر 1953

³⁵ حول مسألة ستالين، الحزب الشيوعي الصيني، 1963

³⁶ سنناول هذا الموضوع في دراسة خاصة سننشرها لاحقا.

والتفق معه على الحد من «طموحات الصين». وتبعاً لذلك طلب خروتشوف من القيادة الصينية الاعتراف بوجود «صينيتين» والقبول بسيطرة الولايات المتحدة على تايوان، كما رفض دعم مطالب الصين حول جزر كوموي وماتسو. وكان له خاصة موقف معارض للصين في خلافاتها الحدودية مع الهند. وكرد فعل على ذلك رفع ماو والحزب الشيوعي الصيني من «سقف» التضال ضد التحريفية السوفيتية دون أن يقطعاً مع خروتشوف أو يوجهانه بوصفه عدواً للشيوعية.

ولم ينخرط الحزب الشيوعي الصيني فعلياً في «التضال» المزعوم ضد الخروتشوفية إلا في سنة 1963 عندما أقام الاتحاد السوفيتي علاقات وثيقة مع كينيدي والإمبريالية الأمريكية، وعندما يئس من مساعدة السوفيت في الحصول على الأسلحة النووية بعد أن أمضى هؤلاء اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية. وحتى بعد الإطاحة بخروتشوف سارع قادة الحزب الشيوعي الصيني إلى زيارة الاتحاد السوفيتي لتقديم التهانى وطلب العون النووي واقترح شو آن-لاي على بريجنيف تحقيق الوحدة من جديد. لكن بريجنيف رفض طموحاتهم القومية، فما كان من ماو والحزب الشيوعي الصيني إلا أن «يفتحوا النار» على التحريفية المعاصرة ويأخذون على عاتقهم الدفاع عن «التقاط الايجابية» عند ستالين بعد أكثر من عشرة سنوات على اغتياله.

كانت البرجوازية تعرف بغريزتها الطبقية وكذلك خدمها المفوضين أمثال تيتو أنّ الهجوم على ستالين هو هجوم على الماركسية اللينينية وتقويض لدكتاتورية البروليتاريا، فاستغلوا المؤتمر العشرين وما تلاه لشنّ هجوم شامل على الماركسية اللينينية وعلى دكتاتورية البروليتاريا، لكن الوسطيين من أمثال ماو كان ما يزال بحاجة لغطاء الماركسية اللينينية ليحافظ على مساندة والتفاف الجماهير في الصين والعالم ليقوي مركزه كقومي صيني ضد الأطماع الإمبريالية في الشرق والغرب، فالصين مازالت بلداً متخلفاً وفي خطواته الأولى نحو التصنيع.

ويقر ماو والحزب الشيوعي الصيني بشعبية ستالين في العالم وفي الاتحاد السوفيتي وأن التحريفيين يخشون ردة فعل البروليتاريا لذلك اتقوا التقرير سريراً بتواطؤ من ماو وأنور خوجة لأن هذين الأخيرين كاتبازيين وسطيين (مثل معارضة كاوتسكي الانتهازية الوسطية لبرنشتاين) ما زالوا بحاجة لغطاء الماركسية اللينينية من أجل المحافظة على دعم الطبقة العاملة والجماهير الكادحة في صراعهم ضد غطرسة الإمبريالية الغربية التي لا تزال تهدد «الديمقراطية الجديدة» الماوية و«الديمقراطية الشعبية» الخوجية. لذلك هم يعارضون «رفض ستالين بشكل كامل»، و«يعارضون القضاء عليه بضربة واحدة» حتى «لا تنفر الجماهير» منهم. يقول ماو والحزب الشيوعي الصيني: «لا تقبل الأغلبية الساحقة للسوفيتيين على أن نشتم ستالين بهذه الطريقة. فهم يظهرون دائماً متشبثين بذاكرته. لقد انفصل قادة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي عن الجماهير بشكل خطير. إذا كانوا يحسّون بأنهم ملاحقون ومهددين بشبح ستالين في أي

بالإضافة إلى ذلك كان للعون المباشر الذي قدّمه الاتحاد السوفيتي بقيادة ستالين دوراً حاسماً في انتصار الثورة الصينية. ففي أوت 1945، اجتاح الجيش الأحمر منشوريا لطرد الإمبرياليين اليابانيين، هذه المقاطعة هي الأكثر تصنعاً في الصين وذات أهمية استراتيجية بالغة. لما انسحب الاتحاد السوفيتي منها بعد استسلام اليابان، حرص على أن تؤول المقاطعة إلى سيطرة الحزب الشيوعي الصيني ومنع الكيومنتانغ من السيطرة عليها، وأمن بذلك حصول جيش التحرير الشعبي على مخزون هائل من الذخائر اليابانية. وفي منشوريا وقع تركيز حكومة مؤقتة دعمها الاتحاد السوفيتي عسكرياً واقتصادياً، وقد منع الاتحاد السوفيتي قوات الكيومنتانغ من استخدام دايرن وبور آرثر للهجوم على القوات الثورية. وانطلاقاً من هذه القاعدة في منشوريا أجرى جيش التحرير الشعبي استعداداته لشنّ هجماته على قوات الكيومنتانغ في 1948 و1949 وتحقيق النصر.

بعد موت ستالين مباشرة سارع التحريفيون السوفيتيين إلى الحصول على دعم قيادة الحزب الشيوعي الصيني. ففي أكتوبر 1954 توجه بولغاين ومكويان وخروتشوف نفسه إلى بكين وحصلوا على دعم القيادة الصينية مقابل صفقة تشمل بالخصوص انسحاب الاتحاد السوفيتي من بورت آرثر والتخلي عن أربع شركات مختلطة صينية-سوفيتية في مجالات التعدين والبتروكيميا والطيران وبناء السفن لصالح الصين، وتقديم قروض إضافية للصين بقيمة 130 مليون دولار وبناء سكة حديدية في الصين. ولم يتأخر الدعم الصيني للتحريفين السوفيتيين من خلال مساندهم للتقارب مع تيتو في 1955 ومساندهم لهجمات خروتشوف على ستالين وللأطروحات التحريفية في المؤتمر العشرين.

ولكسب دعم الحزب الشيوعي الصيني لتصفية بقية القيادة البلشفية ومولوتوف وما يسمى بـ«المجموعة المعادية للحزب» وعد خروتشوف بتكبير الصين من السلاح النووي. وبالفعل، وقع إبرام اتفاقية لتمكين الصين من السلاح النووي وإعطائها المخططات الضرورية لصنعها وذلك سنة 1957 بعد أربعة أشهر من طرد مولوتوف. وبعد شهر من الاتفاقية يأتي ماو إلى الاتحاد السوفيتي في زيارة عرفان بالجميل ويعلن تصريحه الشهير «ينبغي أن يكون للمعسكر الاشتراكي رأس وهذا الرأس هو الاتحاد السوفيتي.... ينبغي أن يكون للأحزاب الشيوعية والعالية لجميع البلدان رأس وهذا الرأس هو الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي»

إن الخلافات بين القيادة الصينية والتحريفيين السوفيت لم تكن تناقضاً بين الماركسية اللينينية والتحريفية بل تناقضاً برجوازي قومياً بين قوة عظمى وبين من يريد أن يصبح قوة عظمى. لقد كانت سياسات خروتشوف، خاصة انطلاقاً من 1959، المعادية لطموحات الصين في أن تصبح قوة عظمى هي التي أجبرت الصين على التغلّف بالاشتراكية والستالينية و«محرارية» التحريفية. ففي جوان 1959 ألغى خروتشوف الاتفاقية النووية مع الصين، وفي سبتمبر من نفس السنة التقى ايزنهاور

لحظة، فذلك لأنهم في الحقيقة يصطدمون بالسخط العميق للجماهير الشعبية الواسعة تجاه الرفض الكامل لستالين. لازل خروشوف لا يجراً على إحاطة الشعب السوفييتي وشعوب المعسكر الاشتراكي علماً بالتقرير السري الذي يرفض ستالين بشكل كامل والذي ألقاه في المؤتمر العشرين، لأن الأمر يتعلق بتقرير غير صادق، تقرير سينفر منه الجماهير ويعدده بشكل خطير عنها.³⁵

دعم ماو والحزب الشيوعي الصيني للهجوم على ستالين تحت يافطة «عبادة الشخصية»:

«يبد أن ستالين، بعد أن حاز على حظوة كبيرة لدى الشعب، سواء في داخل الاتحاد السوفييتي أم خارجه، بتطبيقه الخط اللينيني تطبيقاً صحيحاً، وقع في خطأ المبالغة في دوره الخاص وعارض القيادة الجماعية بسلطته الشخصية. ونجم عن ذلك أنّ بعض أعماله سارت في طريق مخالف لمبادئ الماركسية-اللينينية.»³⁶

«إن ستالين، بإهماله استخلاص الدروس من الأخطاء المنعزلة، الجزئية العابرة، المتعلقة ببعض المشاكل، لم يستطع أن يتجنب تحولها إلى أخطاء فادحة تمس الأمة بأسرها ولمدى طويل. ولقد راح ستالين، في الجزء الأخير من حياته، يزدهي أكثر فأكثر بعبادة الشخصية تلك. فخرق نظام المركزية الديمقراطية في الحزب ونظام الجمع بين القيادة الجماعية والمسؤولية الفردية. وهذا قاده إلى إقرار بعض أخطاء فادحة.»³⁷ وقرأ أيضاً: «إنّ النضال ضدّ عبادة الشخصية الذي شُنّ أثناء المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي نضال عظيم وشجاع يخوضه شيوعيو وشعب الاتحاد السوفييتي لإزالة العقبات الإيديولوجية التي تعرقل مسيرتهم إلى الأمام.»³⁸

موقف ماو من التنبوية ومساندة تقارب خروتشوف مع تيتو:

«إذا كان الرفاق اليوغسلاف يكونون كرهاً خاصاً لأخطاء ستالين، فقد يكون ذلك مفهوماً. إن الرفاق اليوغسلاف قد عرفوا ظروفًا عسيرة في الماضي، وبدلوا جهوداً ثمينة للدفاع عن الاشتراكية. وهم قد حققوا في المؤسسات الصناعية وغيرها من المنظمات الاجتماعية خبرة بالإدارة الديمقراطية، مما لفت كذلك أظار الناس. والشعب الصيني يرحب بالتسوية السلمية التي تمت بين الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية من جهة، ويوغسلافيا من جهة أخرى.»³⁹

³⁵ «من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا»، هيئة تحرير الجريدة

الصينية «جين مين جهاو»، 29 ديسمبر 1956

³⁶ المرجع السابق

³⁷ المصدر السابق

³⁸ المصدر السابق

³⁹ المصدر السابق

لحظة، فذلك لأنهم في الحقيقة يصطدمون بالسخط العميق للجماهير الشعبية الواسعة تجاه الرفض الكامل لستالين. لازل خروشوف لا يجراً على إحاطة الشعب السوفييتي وشعوب المعسكر الاشتراكي علماً بالتقرير السري الذي يرفض ستالين بشكل كامل والذي ألقاه في المؤتمر العشرين، لأن الأمر يتعلق بتقرير غير صادق، تقرير سينفر منه الجماهير ويعدده بشكل خطير عنها.³⁵

ويوضح ماو والحزب الشيوعي الصيني منطلقاتهم القومية البرجوازية في الهجوم على ستالين. يقول: «وكما قيل أعلاه، كان ستالين يبدى في علاقاته مع الأحزاب الشقيقة والبلدان الشقيقة ميلاً ما إلى شوفينية التولة الكبيرة. وقوام هذا هو الاستخفاف بالوضع الاستقلالي والمتساوي للأحزاب الشيوعية والبلدان الاشتراكية في الوحدة الأمتية.»³⁶

دعم التقرير السري والأطروحات التحريفية للمؤتمر العشرين:

«إننا لمتنعون، نحن الشيوعيين الصينيين، بأن الانتقادات القاسية التي طرحت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي ستسمح بالتأكد لجميع العوامل الايجابية التي خنقها تدابير سياسية مغلوبة بأن تتفتح من جديد على الحياة في كل مكان، وبأنّ حزب وشعب الاتحاد السوفييتي سيوطلدان وحدتها بحزم أكبر أيضاً في النضال لبناء مجتمع شيوعي كبير لا سابق له في تاريخ الإنسانية، وفي سبيل سلم دائم في العالم قاطبة.» (حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا.)³⁷

ولعب ماو دوراً قذراً ونشيطاً في دعم الانقلاب الخروتشوفي والتصدي للستالينيين في الاتحاد السوفييتي وخارجه الذين أدانوا التحريفية: «إنّ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي قد باشر إصلاح أخطاء ستالين وإزالة عواقب هذه الأخطاء، وهو ينجح في ذلك. ولقد أبدى المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي حزماً عظيماً وجرأة بالغة في العمل على إزالة تقديس ستالين، وعلى تبيان خطورة أخطاء ستالين، ومحو عواقب أخطاء ستالين. وإن الماركسيين اللينينيين ومن يعطفون على قضية الشيوعية في العالم كله، يساندون الجهود التي يبذلها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بغية إصلاح الأخطاء وهم راغون في أن تتكلم جهود الرفاق السوفييتيين بالنجاح التام. ومن الجلي كلّ الجلاء أن إصلاح أخطاء لن يتم بين ليلة وضحاها، لأن هذه الأخطاء لم تكن ذات أمد قصير، بل إن هذا يستلزم بذل الجهود خلال

³⁵ حول مسألة ستالين، الحزب الشيوعي الصيني، 1963

³⁶ «من جديد حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا»، هيئة تحرير الجريدة

الصينية «جين مين جهاو»، 29 ديسمبر 1956

³⁷ «خلاصة المناقشات التي دارت في اجتماع موسع للمكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني»، جريدة «جينجهاو»، 5 نيسان 1956،

مساعدة تينو في نزاعه مع ستالين ومباركة التقارب الخروتشوفي التينوي: «إن جهود الحكومة السوفيينية في سبيل تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، وبيان الحكومة السوفيينية بتاريخ 30 تشرين الأول 1956 والمحادثات التي جرت بين الاتحاد السوفيتي وبولونيا في شهر تشرين الثاني 1956، لتؤكد عزم الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي والحكومة السوفيينية على نحو أخطاء الماضي في العلاقات الخارجية محو نهائيا. وكل هذه التدابير من جانب الاتحاد السوفيتي هي قسط هام يؤدي في قضية توطيد التضامن الأممي البروليتاري.»³³

التخلي عن الخط الستاليني في مقاومة مؤامرات الإمبريالية لإعادة الرأسمالية وتبتي خط خروتشوف:

عندما يتعلق الأمر بإدانة ستالين ودعم خروتشوف، يدعي ماو أن الطبقات زالت في الاتحاد السوفيتي وأن لا مبرر للقمع في حين أنه صدع رؤوس الجميع هو والحزب الشيوعي الصيني بـ«تطويرهم الخلاق للماركسية اللينينية» بالقول بتواصل واحتداد الصراع الطبقي في ظل الاشتراكية وتقديم ستالين عندما صرح في نهاية الثلاثينات بتصفية البرجوازية كطبقة. يقول الآن كلاما معاكسا: «رغم أن دكتاتورية البروليتاريا ضرورية أيضا لمكافحة بقايا الثورة المعاكسة داخل البلاد حتى بعد القضاء على الطبقات المستثمرة وتصفية القوى المعادية للثورة في الأساس (ولا يمكن القضاء بشكل تام على هذه البقايا ما دام الاستعمار موجودا)، فإنه ينبغي لها أن تكون موجهة بصورة رئيسية ضد القوى العدوانية الاستعمارية الخارجية لدفع خطرهما.... لا التثبيت كما في الماضي بزيادة حدة النزاع الطبقي وقد اضمحلت الطبقات، ولا ما يترتب على ذلك من عرقلة لتطور الديمقراطية الاشتراكية تطورا سلميا كما فعل ستالين. إن الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي قد أصلح أخطاء ستالين في هذه المسألة إصلاحا حازما، وهذا شيء صحيح كل الصحة.»³⁴

دعم أطروحة خروتشوف حول التحول السلمي من الرأسمالية إلى الاشتراكية

اعتراف الحزب الشيوعي الصيني بخيانتته وعدم تصديه للهجمة التحريفية على المبادئ العامة للماركسية اللينينية: «عندما قدم خروتشوف مسألة «الطريق البرلماني» لأول مرة في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي، اعتبر الحزب الشيوعي الصيني أن هذا كان خطأ عظيما، كان نقضا للنظريات الأساسية للماركسية اللينينية ويستحيل قبوله على الإطلاق.

ولكن نظرا لأن تحريفية خروتشوف كانت وقتند في مرحلتها الابتدائية، ولم يكن قادة الحزب الشيوعي السوفيتي آثاروا المجادلات العلنية بعد، أمسكنا حين من الوقت عن كشف خطأ خروتشوف الذي ارتكبه بتقديمه «الطريق البرلماني» كما لم ننفده علنا أيضا.»³⁵

وحتى بعد مرور أكثر من 7 سنوات على الانقلاب الخروتشوفي، يواصل الحزب الشيوعي الصيني تمسكه «بالوحدة» مع التحريفين ويؤيد من جديد أطروحات برنشتاين وكوتسكي حول الانتقال السلمي: «وفي اجتماع الأحزاب الشقيقة عام 1960.... وتمشيا مع الرغبة العامة التي أبدتها الأحزاب الشقيقة في وضع وثيقة مشتركة في الاجتماع، قدم وفد الحزب الشيوعي الصيني تنازلا آخر في النهاية حول هذه المسألة ووافق على إدراج الصياغة الحرفية التي وردت في تصريح عام 1957 بشأنها، وافق على إدراجها في بيان عام 1960، وكان السبب أيضا هو مراعاة حاجيات قادة الحزب الشيوعي السوفيتي.»

ولا يخل الحزب الشيوعي الصيني من تقديم مثل هذه التبريرات ويتشدد بأنه «وقد وزعنا في نفس الوقت في هذا الاجتماع عرضا عاما خاصا بآرائنا حول مسألة الانتقال السلمي باسم الحزب الشيوعي.... وأوضحنا أن مراعاتنا لقادة الحزب الشيوعي السوفيتي فيما يتعلق بهذه المسألة، هي آخر مراعاة لهم وسوف لا نكرر هذا مرة أخرى.»

يوافق إذن على الوثيقة التحريفية الرجعية التي ستنشر لدى الطبقة العاملة العالمية والشعوب المضطهدة ويتشدد بتوزيعه داخل مؤتمر مكون من زعماء تحريفين لوثيقته الخاصة الاتهازية الوسطية كما أسلفنا.»³⁶

بناء «الاشتراكية» مع البرجوازية الوطنية:

الخصوصية الصينية بالنسبة لماو أقوى من المبادئ العامة للماركسية اللينينية ومن نظرية لينين وستالين عن الدولة ودكتاتورية البروليتاريا. هذه الخصوصية على درجة من القوة بحيث تغير من طبيعة البرجوازية وتجعلها تقبل الاشتراكية. يقول ماو: «في بلادنا التناقضات بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية تناقضات تظهر في صلب الشعب. صراع هاتين الطبقتين يحدّد عموما ضمن مجال صراع الطبقات في صلب الشعب لأن للبرجوازية الوطنية، في الصين، طابعا مزدوجا. في مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية، كانت ذات طابع ثوري ولكن في الوقت عينه ظهر لديها توجه نحو الاتفاق [مع الإمبريالية]. في مرحلة الثورة الاشتراكية، تستغل الطبقة العاملة وتكسب منها أرباحا ولكن في ذات الوقت تساند الدستور وتبدو مستعدة للقبول بالتحول الاشتراكي. إنها

³³ «الثورة البروليتارية وتحريفية خروتشوف»، بقلم هيئتي تحرير صحيفة «جينجيباو» ومجلة «العلم الأحمر»، 31 مارس، 1964، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1964

³⁴ المصدر السابق

³³ المصدر السابق

³⁴ المصدر السابق

المحافظة على استقلال ألبانيا ضد أطماع الإمبريالية السوفيتية والغربية وضد أطماع تيتو. والفارق في القوة بين الحزبين والدولتين هو الذي يفسر الفوارق الكمية وغير النوعية بين موقف كليهما من التحريفية الخروتشوفية، فقد حاولت الصين استخدام هذه الورقة للضغط على خروتشوف من أجل الظفر باستمرار المساعدة الاقتصادية والفنية السوفيتية وخاصة من أجل امتلاك أسلحة نووية، لذلك نجد تراوح بين «التصعيد» والمهادنة مع الخروتشوفيين. لكن حجم ألبانيا وحزب العمل الألباني لم يكونا ليكنا أنور خوجة من ممارسة التهديد إزاء خروتشوف، لذلك جاء موقفه في 1956 والسنوات الموالية انبطاحا أكثر من الموقف الصيني وقد تبنى بوضوح وحزم كافة أطروحات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي.

لقد تبنى حزب العمل الألباني بكل وضوح الأطروحات التحريفية للمؤتمر العشرين في مؤتمره الثالث المنعقد في ماي 1956، لكنه ينكر ذلك ويحاول تزييف تاريخه سنة 1971. يقول الحزب في «تاريخ حزب العمل الألباني» الصادر سنة 1971 «كانت جميع استنتاجات ومقررات المؤتمر الثالث لحزب العمل الألباني مشبعة بالروح الثورية الماركسية اللينينية التي تناقض الروح التحريفية التي بصمت استنتاجات ومقررات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي»

سنين الآن زيف ادعاءات حزب العمل الألباني. يقول أنور خوجة في مقال حول الذكرى الخامسة عشرة لنشأة حزب العمل الألباني نشرته البرافدا في 8 نوفمبر 1956 «معمدا على التجربة والدروس المشجعة للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي، صاغ المؤتمر الثالث لحزبنا مقررات واضحة وصحيحة تركز على أسس الماركسية اللينينية.»

استشهادات من النص الأصلي (1956) لمقررات المؤتمر الثالث لحزب العمل الألباني التي وقع شطبها في طبعة 1975 للمؤلفات، المجلد الثاني، لأنور خوجة:

تبني أطروحة التعايش السلمي:

«إن المسائل اللينينية التي طرحت في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بتطور الوضع العالمي الحالي تكسي أهمية تاريخية بالنسبة للإنسانية وتشكل كنزا ثمينا جاء ليثري الماركسية اللينينية في الظروف الملموسة للوضع العالمي الراهن. إن مبدأ التعايش السلمي للنظامين الاشتراكي والرأسمالي كان دائما يقود السياسة السلمية للاتحاد السوفيتي.... يعلن الشيوعيون أن النظام الاشتراكي سينتصر على النظام الرأسمالي عن طريق التباري السلمي وستنتصر الشيوعية حتما نتيجة تفوق النظام الاشتراكي على النظام الرأسمالي.»

تبني أطروحة إمكانية تجنب الحروب الإمبريالية:

«هناك أطروحة أخرى هي إمكانية تجنب الحروب في عصرنا الراهن. هذه المسألة التي تشغل الإنسانية باستمرار لقيت حلا صحيحا وعلميا من

تختلف عن الإمبرياليين والمالكين العقاريين والبرجوازية البروقراطية. التناقضات التي تجعلها تتعارض مع الطبقة العاملة هي تناقضات بين مستغلين ومستغلين وهي بالتأكيد ذات طبيعة عداوية، مع ذلك، في الظروف الملموسة لبلادنا، هذه التناقضات العداوية يمكن أن تتحول إلى تناقضات غير عداوية وتحلّ بصفة سلمية إذا عولجت بصفة حكيمة. لو أنّ التناقضات بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية لم تحل بشكل صحيح يعني إذا لم نمارس تجاهها سياسة وحدة وتربية أو لم تقبل البرجوازية الوطنية مثل هذه السياسة، فإنها يمكن أن تسمي تناقضات بيننا وبين أعدائنا.»⁷⁷

وفي الأخير، يعترف الحزب الشيوعي الصيني بالضرر الفادح الذي أحدثته التحريفية الخروتشوفية على الحركة الشيوعية العالمية، ويهدد بعد 11 سنة على اغتيال الرفيق ستالين وبعد أكثر من 8 سنوات على مؤتمر الخيانة العشرين بأنه لن يسكت مستقبلا عن أفعال التحريفية: «لم تمض على انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي غير ثماني سنوات فقط. وفي هذه الفترة القصيرة جدا من التاريخ، ألحقت تحريفية خروتشوف أضرارا أكبر الدرجات وأخطرها بالاتحاد السوفيتي وبالفضية الثورية لدى البروليتاريا العالمية.

لقد حان الوقت الآن وقد بلغ السيل الزبي، لدحض تحريفية خروتشوف ولحسابها.»⁷⁸

5. أنور خوجة وحزب العمل الألباني: التآمر

على ستالين والبُلشفيّة سنة 1956 ومحاولة

التستّر سنة 1975

لقد كان حزب العمل الألباني يؤكد أنه كان دوما في مقدمة المحاربين للتحريفية المعاصرة. وقد تنامت ادعاءات هذا الحزب الزائفة خاصة بعد موت ماو تسي تونغ لما بدأ يسعى لزعامة حركة البروليتاريا العالمية والشعوب المضطهدة. لقد تعاطى هذا الحزب مع قضية التحريفية المعاصرة، مثله مثل ماو والحزب الشيوعي الصيني، من منطلق قومي برجوازي لا من منطلق ماركسي لينيني بلشفي. ولئن كان ماو يقود ماو والحزب الشيوعي الصيني هي الطموحات في تحويل الصين إلى قوة عظمى، فقد كان الذي يقود أنور خوجة وحزب العمل الألباني هو

⁷⁷ ماو تسي تونغ: «حول الحلّ الصحيح للتناقضات في صلب الشعب»، فيفري

⁷⁸ «الثورة البروليتارية وتحريفية خروتشوف»، بقلم هييتي تحرير صحيفة «جينجنيجياو» ومجلة «العالم الأحمر»، 31 مارس، 1964، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1964

إن عبادة الشخصية وطريقة الإدارة التي خلقها ستالين كانت تجسماً لحرق سافر وتشويه للمبادئ اللينينية حول القيادة الجماعية في الحزب. إن انتهاك ستالين لقواعد الحياة الحزبية وحلّه للقضايا بطريقة فردية وانتهاك وجهته نظر الحزب بأخذه إجراءات صارمة ضد أولئك الذين يتخذون آراء مخالفة لآرائه، كان لا بد لها أن تسبب، وقد سببت بالفعل أضراراً فادحة.... وقادت الرفيق ستالين لارتكاب أخطاء: فلم يظهر اليقظة اللازمة عشية الحرب الوطنية ضد النازية الألمانية، ولم يكرس العناية المطلوبة بتطوير الفلاحة الاشتراكية وتحسين مستوى عيش الكولكوزيين، وباشر وعالج القضية اليوغسلافية بطريقة خاطئة، الخ. في مثل تلك الحالات كان ستالين أحادياً في أفكاره وانفصل عن الجماهير.» ❁



نُشر لأول مرة في:

الحوار المتمدن، العدد، 3658، 2012/3/5

قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي.... إن الأطروحات الماركسية اللينينية التي تقول بجمجمة الحروب طالما الإمبريالية موجودة، وقعت صياغتها لما كانت الإمبريالية نظاماً عالمياً وحيداً وعندما كانت القوى الاجتماعية والسياسية المعارضة للحرب لا تزال ضعيفة»
تنبّي أطروحة الانتقال السلمي للاشتراكية:

«إن مسألة الانتقال إلى الاشتراكية عن طريق الحرب الأهلية أو بدونها، هي أيضاً إنارة كبرى ومساعدة ثمينة لأحزاب الطبقة العاملة والشعوب الكادحة لكي تمسك بالسلطة ولكي تحقق التحولات الاجتماعية ولكي تحوّل البرلمان البرجوازي، هناك حيث تكون البرجوازية غير قادرة على اللجوء إلى العنف، إلى أداة حقيقية للإرادة الشعبية ومن أجل ضمان انتقال وسائل الإنتاج الأساسية بين يدي الشعب.... لكل ذلك آثار المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي حاسماً لا يفتر في العالم بأسره. ولهذا السبب بالذات تقع دراسة وثائق المؤتمر العشرين بكل عناية وأصبحت المناورة التي تضيء درب الرجال الناشطين من ذوي النية الطيبة والذين يناضلون من أجل السلم وحياة أفضل»

تنبّي إعادة الاعتبار لتيتو من طرف الخروتشوفيون:

يعتبر أنور خوجة أنه خدع بنضال ستالين ضدّ التحريفين اليوغسلاف ويدعي أن هؤلاء وقعت إدانتهم عن غير حقّ. ويجي قيام خروتشوف «بإصلاح الخطأ» ويجذو حذوه:

«لقد حي الشعب الألباني وحزب العمل بحماس وساندوا بالكامل إعلان بلغراد الممضى بين قادة الدولة السوفينينية والدولة اليوغسلافية في شهر جوان 1955 وفرحوا لتطبيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا.... لقد ساند حزبنا مقررات مكتب الإعلام (كومنفورم). لقد اعترفنا ونعترف الآن بأننا خدعنا كما خدعت الأحزاب الشيوعية والعالمية الأخرى بالاستفزاز المدبر ضدّ يوغسلافيا من طرف عميل الإمبريالية الحقير بيريا»

تنبّي أطروحة «عبادة الشخصية» و«أخطاء» ستالين:

انضم أنور خوجة إلى خروتشوف في حملة تشويه ستالين وردد نفس الاتهامات الخروتشوفية حتى يتمكن من التخلص من خط ستالين الثوري الماركسي اللينيني:

«قدم المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي تحليلاً عميقاً ماركسياً لينينياً للدور الحاسم الذي لعبته الجماهير الشعبية بقيادة الحزب الشيوعي في بناء الاشتراكية، وللضرر الكبير الذي تسببت فيه عبادة الشخصية المنافية للماركسية اللينينية.... خطأ جوزيف ستالين الكبير يتمثل لا فقط في كونه قبل المدح والتعظيم لشخصه ولكنه قام هو بنفسه بدم وتشجيع هذه الطرق المعادية للماركسية».